



## العبرة من القصص القرآنية

(015) سورة الحجر

اللقاء الثالث من تفسير سورة سبأ | شرح الآيات 14-19

2024-07-08

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين. اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات. وبعد أيها الإخوة الكرام: فما زلنا نتدبر بمعيتكم سورة سبأ، وقيد بيئاً في لقاءاتٍ سابقة أنّ هذه السورة هي سورة الحمد وسورة الشكر، وافتُتحت بقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ  
الْخَبِيرُ (1)

(سورة سبأ)

واختصت بقوله تعالى: **(وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ)** فحمدت الله تعالى في الآخرة.

وبيئاً أنّ هذه السورة ذكرت في مطلعها نموذجين من الحامدين الشاكرين، وهما نموذج داوود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، ونموذج سليمان عليه السلام، فهذان النبيان الكريمان آتاهما الله تعالى من فضله ونعمه الكثير، فكان ردّ فعلهما الشكر، وتعلم منهما قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَابِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِجَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ  
وَاقْلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ (13)

(سورة سبأ)

فأن نجعل أعمالنا كلها شُكراً لله تعالى، **(اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا)** أي اجعلوا أعمالكم شكراً لله تعالى، أو سَخَرُوا ما وهبكم الله تعالى من فضلٍ ونِعَمٍ، سَخَرُوا ذلك في مرضاته، فشُكِرَ العين أن تنظر إلى الحلال، وشُكِرَ الأذن أن تسمع الحلال، وشُكِرَ الرجل أن تمشي إلى مجالس العلم والمساجد، وشُكِرَ اليد أن تقدّم الخير والمعروف للناس، لا أن تُسِيءَ إليهم أو أن تبطلش بهم، وشُكِرَ المال أن تُؤدّي زكاته، وشُكِرَ الولد أن يُربّي على طاعة الله، وشُكِرَ الزوجة أن تُعامل وفق شرع الله، فكل ما آتاك الله تعالى من فضل فله شُكْر، وهذا الشُكْر شُكْر العمل هو أرفع درجات الشُكْرِ، فكم من إنسان يشكر الله بلسانه ويقول الحمد لله لكنه لا يشكر له بعمله، فشُكِرَ العمل أرفع من شُكْرِ اللسان، والأنتان مطلوبان معاً **(اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ)**، ربما تجد شاكرين لكن قل أن تجد شكوراً، والشكور هو المبالغ في الشكر، الذي يُكثِر الشكر لله تعالى، يتذكر نِعَم الله تعالى عليه في كل شيء، يرى نعمة الله عليه في كل شيء.

## النِعَم التي أعطاها الله للنبي سليمان عليه السلام:

فالنموذج الثاني الشاكر لله تعالى هو نموذج سليمان، وسليمان عليه السلام كما بيّنّا آتاه الله تعالى الريح غدوها شهراً ورواحها شهراً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
**<span style="font-weight:bold;">وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرًا وَرَوْاحُها شَهْرًا</span> وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ  
بَيْنَ يَدَيْهِ يَأْذِنُ رَبِّي ق وَمن يَرَعُ مِنْهُم عَنْ أَمْرًا نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12)**

(سورة سبأ)

فجعلت الريح تجري بأمره رخاءً حيث أصاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36)**

(سورة ص)

فيقطع في يومٍ وليلة ما يقطعه الناس في شهر، يعني طائرة في العرف الحديث، لكن في زمنٍ لم تكن فيه تلك الاختراعات الحديثة، وأسأل الله تعالى له عين القطر، **(وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ)** عين النحاس، أذاب له النحاس دون وسائل تذيب، فجعل بُشَيْئاً منه الصناعات، وسَخَّرَ الجن بين يديه فعملوا له ما يشاء.

## لا يعلم الغيب إلا الله:

إلى أن قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
**<span style="font-weight:bold;">قَلَمًا قَصَبًا عَلَيْهِ أَلْمُوتُ</span> مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ق قَلَمًا حَرَّ  
تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْعَبَّ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14)**

(سورة سبأ)

والموت قضاءً من الله تعالى يقضيه الله في الوقت الذي يريد، قال: **(ما دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ)** يعني دوية صغيرة تأكل في الأرض **(تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ)** والمنسأة هي العصا، وسُمّيت منسأةً من التئاء وهو التأخير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
**<span style="font-weight:bold;">إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ</span> يُصَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِقُونَ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا  
لِيُؤْاطِلُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلِقُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ق رَبَّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ق وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (37)**

النسيء التأخير، والربا نوعان ربا الفضل و ربا النسئة، و ربا النسئة هو الربا الذي يكون في القروض، بمعنى أن يقول له أقرضني مئة وأعطيك مئة وعشرون، فلما حُلَّ الأجل يقول له: لا أملك، فيقول له: أنستني، أي أحرمني، نسيئة، فيؤخره سنةً أخرى بمقابل عشرة بالمئة زائدة، هذا هو ربا النسئة وهو التأخير، فالمنسأة من النسيء وهو التأخير لأنها في الأصل تُجعل ليؤخر الإنسان بها عن نفسه الأخطار، وليهش بها على غنمه، فيؤخر الغنم وبيدهم عنه أو يُبعد عنه الأخطار بها، فسميت منسأة على وزن مفعلة، اسم آله، فهي العضا التي يتكئ عليها، فمن شدة هيئته وتسخير الجن له بين يديه، فما زالوا يعملون بين يديه (ما دلهم على مؤته إلا دابته الأرض بأكل منسأته فلما خرّ خرّ أي سقط عليه السلام، وقد مات (تبييت الجن أن لو كانوا يعلمون العتب ما لبثوا في العذاب المهين) وهذه الآية وغيرها كثير نصّ في أن لا يعلم الغيب إلا الله، فالجن لا يعلمون الغيب، والذي يقول لك أنا أتعامل مع الجن فأخبروني أنه سيكون كذا وكذا فهو يكذب، الجن عندهم قدرات خارقة قد تؤهلهم لمعرفة الغيب المكاني، الغيب النسبي، بمعنى أنني أنا الآن موجود هنا لا أدري ما يجري الآن في السعودية مثلاً، في حي من أحياء الرياض، لكن لو أنّ أخي الذي يسكن في الرياض يكلمني الآن وقال لي: ما يحدث الآن هو كذا وكذا، فأخي لا يعلم الغيب، هذا غيب بالنسبة لي ولكنه شهودٌ بالنسبة له، واليوم مع الهاتف أصبحت أسهل من الجن، يعني ما يحدث في أي بقعة من الأرض نعلم به في اللحظة نفسها عن طريق الأقمار الصناعية، فهذا أسرع من الجن، فالجن لا يعلمون الغيب لكن قد يعلمون شيئاً غاب عنك زماناً أو مكاناً فإتواك بأخباره، كما حدث مع سليمان في سورة أخرى لَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ عَن مَمْلَكَةِ بَلْقَيْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
**قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ** <span style="font-weight:bold">"أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ </span> وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ  
 (39)

(سورة النمل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
**فَمَكَتْ عَنِّي رَبِيعٌ قَالَتْ أَخَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ** <span style="font-weight:bold">"وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنْتًا يَبِيَّةً يَبِينٌ (22)</span>

(سورة النمل)

## الجن عندهم قدرات خارقة لكنهم لا يعلمون الغيب:

هذا ليس غيباً، هذا كان غائباً عنه لكن حاضراً عند من يستطيع الحركة الأسرع، كما يجري اليوم في وسائل التواصل الحديثة، فقال: (أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْعَتَبَ) إِذَا هُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، هم عندهم قدرات مختلفة عن البشر لكنها لاتصل أبداً إلى أن يعلمون الغيب، بدليل أنهم لم يعلموا بموت سليمان عليه السلام، قال: (مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) ولماذا سمّي العذاب هنا مُهيناً؟ لماذا الجن هنا عذابٌ مُهين؟ وهل من يعمل بين يدي نبيّ كريم، وفي قصره ومُلكه، يعني يسمّى عمله عذاباً مُهيناً؟! الحقيقة لها زاويتان، الزاوية الأولى يعني أنت عندما يكون هناك شخصٌ يملك شهادة في الدكتوراه، وتأتي به وتشتغل في قصرٍ مُنيف، وعند شخص من أكابر القوم، لكن تجعله مستخدماً في هذا القصر، فهذا عذابٌ مُهين، لأنّ هذا ليس موضعه، فالجن بقدراتهم الخارقة أن يُسخّروا لواحدٍ من الإنس فهذا يحذّ ذاته عذابٌ مُهين، لأنهم وُضعوا في غير موضعهم.  
 وقال بعض المفسرين: بل إنّ الذين كانوا بين يديه لم يكونوا من الجن المؤمنين، بدليل أنّ الله تعالى وصفهم في آياتٍ أخرى بأنهم شياطين، والشيطان يُطلق على مَرَدَةِ الجن، فعذابهم المُهين لأنهم كانوا يُسخّرون بأعمالٍ شاقّة بين يدي هذا النبي الكريم، وهم ليسوا بمؤمنين.  
 فعلى كل حال سواءً هذا المعنى أو ذاك، فبيّنت لماذا سَمّاه الله تعالى عذاباً مُهيناً، هذا النموذج هو نموذج الشاكرين، أو نموذجان ضربهما الله تعالى في كتابه للشاكرين، نموذج داوود ونموذج سليمان.

## الكفر قد يكون مقابل الشكر وقد يكون في مقابل الإيمان:

انتقل المولى إلى نموذج آخر للكافرن، بعكس الشاكرين، الكُفر يأتي في مقابل الإيمان و يأتي في مقابل الشُّكر، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ** <span style="font-weight:bold">"لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ </span> وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7)</span>

(سورة إبراهيم)

فالكُفْرُ يأتي في مقابل الشُّكْرِ، ويأتي في مقابل الإيمان، هنا نتحدث عن الكُفْر الذي يكون في مقابل الشُّكْرِ، فمن شَكَرَ النعمة فقد أدَّى حَقَّهَا، وَمَنْ كَفَرَهَا فقد ترك حَقَّهَا. ما مناسبة ذكر سبأ بعد سليمان عليه السلام؟ هناك ترابط تاريخي بين الأمرين، لأنَّ سليمان عليه السلام عاشر مملكة سبأ، وبلقيس كانت تابعة لمملكة سبأ، وجاءه العفريت من الجن بنياً يعين، وجاء بها وأسلمت مع سليمان لله ربِّ العالمين، فهذه المناسبة في الانتقال بين سليمان، ثم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="font-weight:bold">لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ</span> جَنَّاتٍ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُنُوزٌ مِّن رَّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكَرُوا  
لَهُ ۗ بَلَدَهُ طَبِيبَةٌ وَأَرْضٌ عَفُورٌ (15)

(سورة سبأ)

## ما هو أصل قبيلة سبأ؟

سبأ هي قبيلة، وهي تسكن في مارب في شمال شرق صنعاء في اليمن، وهذه القبيلة تعود إلى رجل اسمه سبأ، والدليل على ذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سأله رجلٌ قال: يا رسول الله سبأ هل هو أرضٌ أم امرأةٌ؟ فقال: بل هو رجلٌ، ويقال أن اسمه كان عبد شمس

{ أنبأ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخِيرْنَا عَن سَبَأٍ مَا هُوَ أَرْضٌ أَمْ امْرَأَةٌ؟ فَقَالَ: لَيْسَ  
بَأَرْضٍ وَلَا امْرَأَةٍ، وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ وَلَدَ عَشْرَةَ [ مِّنَ الْعَرَبِ ] فَتَيَّامَنَ سَنَةً وَتَشَاءَمَ أَرْبَعَةَ }

(صحيح أبي داود)

قال هو رجلٌ ولد له عشرة، يعني من أولاده وهم ليسوا من أولاده المباشرين، لكن يتفرعوا إلى عشرة بطون، قال: (فَتَيَّامَنَ سَنَةً وَتَشَاءَمَ أَرْبَعَةَ) تيامن سنَّة، أي ذهبوا باتجاه اليمن وبقوا في عموم اليمن، وتشاءم أربعة، أي ذهبوا إلى الشام، وليس من الشؤم وإنما إلى الشام، طبعاً ومن اليمن من هؤلاء السنة كانت كندة، وكان الأشعريون الذين امتدحهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

{ إِنَّ الْأَشْعَرِيَّيْنَ إِذَا أُرْمِلُوا فِي الْعَرْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي تَوْبٍ وَاجِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنْاءٍ وَاجِدٍ  
بِالسَّوْبَةِ، فَهَمُّ مِثِّي وَأَنَا مِنْهُمْ. }

(صحيح البخاري)

فالأشعريون من سبأ، وكندة القبيلة العربية الشهيرة من اليمن، وكان منهم في الشام غسان الغساسنة، فسبأ مملكة قبل الميلاد واستمرت إلى القرن الثالث بعد الميلاد، يقال أنه امتدَّ بها المطاف إلى ستة عشر قرناً، أي ألف وستمئة سنة تقريباً، من ألف قبل الميلاد إلى ستمائة بعد الميلاد، وهذه القبيلة تُسببت إلى سبأ، وهو رجلٌ اسمه عبد شمس، وهذا الرجل يُقال أنه كان موحداً، وينسبون له أبياتاً من الشعر يُبشِّرُ بها بقدم محمدٍ صلى الله عليه وسلم، ويُقال إن الاسم سبأ جاء من سبأ، لأنه أول من أخذ السببي، يعني سبأ يسبي، والله تعالى أعلم، ثم هُملت فأصبحت سبأ، على كل حال هذه قضية تاريخية، يعني شيء بسيط على القضية، النتيجة أنَّ سبأ هم قبيلة عاشت في اليمن، وهذا المُجمع عليه في شمال شرق اليمن، حتى أنَّ آثارهم موجودة حتى الآن، قريباً من مارب، أو سد مارب.

## أنواع آيات الله:

قال: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ) آية أي علامة، دالة على قدرة الله، وعلى عطاء الله، وعلى فضل الله، فمسماكنهم كانت آية لهم، آيات الله كثيرة، فأيات الله منها ما هو كونيٌّ، فالشجرة آية، والقمر آية والشمس آية، ومنها ما هو قرآنيٌّ، فهذه الآيات التي نقرأها آياتٌ دالةٌ على عظمة الله، ومنها ما هو أفعال، يعني أفعال الله، مساكين سبأ آية، ما فعله الله تعالى بعباد آية، ما فعله الله تعالى بشمود آية من آياته، قوم سبأ آية إلى آخره، فالآيات إما أن تكون آياتٍ قرآنية تتلوها، وإما أن تكون آياتٍ كونية ننظر فيها فنستدل على وجود الله، أو أن تكون أفعالاً من أفعال الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1)

(سورة الفيل)

فهذه آية، وهذه من آيات الأفعال، (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِهُمْ آيَةٌ)، أنت في حياتك لك في مسكنك آية، نحن اليوم عندما ننظر إلى إخواننا الذين نسأل الله أن يُفَرِّجَ عنهم، إذا ممكن أن لا يكون الإنسان فوقه سقف، ممكن أن يكون فوقه قماش، وممكن أن لا يكون فوقه لا سقف ولا قماش، ممكن أن يلتحف السماء ويفترش الأرض ممكن، لكن قدر الله وأنعم في أنه جعل فوقنا سقف، هذه آية، يعني هذه آية من آيات الله لك، إذا عملت فهذه آية، إذا نظرت إلى ولدك فهذه آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="color: #01154d;font-weight: bold">أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً</span> وَتَجْعَلُ مِنْ بَشَائِهِمْ عِيقًا </span> إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ  
(50)

(سورة الشورى)

إذا رَوَّجَكَ اللهُ زوجةً فهذه آية، كل هذه آيات، والقرآن آيات والكون آيات، فالآيات متنوعة، قال: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِهُمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ)، يعني جنة عن اليمين وجنة عن الشمال، فكانت هذه المملكة مُحاطة بالجنان، والجنة هي البستان الجميل، ولنا سابقاً أنَّ الأصل جيم ونون، جنَّ أو جنة كله من الستر والخفاء، فالجنون ستر العقل، والجنة هي الوفاية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="font-weight: bold">فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا</span> □ قَالَ هَذَا رَبِّي □ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76)

(سورة الأنعام)

أي ستر الليل الأرض، والجن استتروا عن أعين الناس فلم يُروا، والجنة تشابكت الأشجار والأعصاب فيها حتى غطت وجه الأرض، ظل ظليل.

## كل أمر في القرآن يقتضي الجوب إلا ما قام على خلاف ذلك:

(لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِهُمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ)، لعل أنبيائهم قالوا لهم كلوا من رزق الله، لأنه كان فيهم أنبياء كثر كما تروي الروايات، والله تعالى جلَّ جلاله قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="font-weight: bold">وُرْسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ تَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ □ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى</span>  
تَكْلِيمًا (164)

(سورة النساء)

فقال لهم أنبيائهم أو رسلهم أو دُعاة الخير فيهم، أو خاطبهم الله تعالى عن طريق هذه الآيات (كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ)، جاء الأمر من الله تعالى أن يأكلوا من رزق الله، وما الأمر هنا إلا للإباحة، نحن عندنا في القرآن كل أمر يقتضي الجوب إلا ما قامت قرينة على خلاف ذلك، كيف ذلك؟ هذه قضية أصولية لكن فيها فائدة، الأصل أنَّ الله تعالى إذا قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="font-weight: bold">قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ بُضَارِهِمْ □ وَتَحَقُّطُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا</span>  
يَصْنَعُونَ (30)

فهذا أمر والأمر يقتضي الوجوب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="font-weight:bold"> يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْجُرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ يَسِّنُّ الْإِسْمُ الْفُسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)</span>

(سورة الحجرات)

هذا نهي يقتضي الوجوب، لكن قد يأتي الأمر ويقتضي الإباحة وليس الوجوب، كأن يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="font-weight:bold"> فَإِذَا فُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10)</span>

(سورة الجمعة)

فلو أنَّ إنساناً خرج من صلاة الجمعة، فهل يجب عليه أن ينتشر في الأرض، أم له أن يعود إلى بيته فيرتاح؟ إذاً هذا الأمر ليس للوجوب، لكن للإباحة، لأنه كان ممنوع داخل الصلاة، فلما فُضيت الصلاة أصبح مُباحاً، وكفوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="font-weight:bold"> يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُجْلُوا سَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ فَضلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا</span>  
<span style="font-weight:bold"> وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا</span> وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا □  
وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2)

(سورة الأنعام)

فإذا تحلَّى الإنسان هل يجب أن يُمسك السهم فوراً وبصطاد؟! إذا لم يريد أن يصطاد فلا بصطاد، فهذا أمرٌ لقا جاء بعد الحظر أصبح للإباحة، وهنا عندما قال الله تعالى (كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ) فهذا أمرٌ للإباحة، فرزق الله متاح، والأكل من الطيبات حلالٌ طيبٌ، فكل ما سُئِنَ من رزق الله، والمقصود منه هنا (مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ) أن تنسب النعمة إلى المُنعم، لا أن تنسبها إلى ذاتك كما قال فارون:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="font-weight:bold"> قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي</span> أُولَئِكَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْفُرُونَ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا □ وَلَا يُسْأَلُ عَن دُئُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78)

(سورة القصص)

## على الإنسان أن ينسب النعمة إلى المُنعم ثم يشكر الله عليها:

(كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ) فكل من الرزق ولكن اعلم أنه رزق ربك لك، وجاء بربكم ولم يقل كلوا من رزق الله هنا، لأن الرب هو المُربي، الذي يُمدك بما تحتاجه، والرزق من ربه جل جلاله، من ربه أنه يرزق عباده.

(كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ) وهو الأصح أن يقال واشكروا له، ولا يقال واشكروه، وإن كان الاثنان صحيحين، ولكن الأصح عند العرب شكر لي، ونصح لي، ولا يقولوا نصحه أو شكره، شكر له ونصح له، (وَاشْكُرُوا لَهُ) يعني جاء الأمر بنسبة النعمة إلى المُنعم ثم شكر المُنعم عليها، فيشكرون الله عليها، وبواعث ذلك قال: (بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ عَفُورٌ)، البلدة طيبة فيها نعم الله، فيها ما تحتاجه، فيها الجنان عن اليمين والشمال، فيها الأنهار، فيها كل ما تحتاجه، (بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="font-weight:bold">وَالتُّبْدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ تَائِبُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ</span> وَالَّذِي حَبَّتْ لَآ يَخْرُجُ إِلَّا تَكْدًا □ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ  
لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (58)

(سورة الأعراف)

(وَرَبُّ عَفُورٌ) فإذا وقع مخالفة فالربُّ عفورٌ جل جلاله، دائماً النعم يصح معها مخالفات، لأنه قد يستغرق الإنسان في النعمة فيتناسى شكرها فيغفر الله له ذلك، إذا عاد وأتاب، وقد يغرق في النعمة فيعصي الله فيها والعباد بالله، وهذه أعظم فيعود إلى ربه فيغفر له (بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ عَفُورٌ).

## عقوبة الإعراض عن المُنعم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="font-weight:bold">فَأَعْرَضُوا</span> فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَقِيلَ لَهُمْ جَنَّتَيْنِ دَوَاتِي أُولَئِكَ خَمُطٍ وَأَثَلٍ  
وَشَيْءٌ مِّن سِيْدِرٍ قَلِيلٍ (16)

(سورة سبأ)

عاشوا هنيئين جيناً من الزمن، ينعمون بهذه النعم ويشكرون الله عليها، ثم أعرضوا، والنعمة دائماً إذا كانت كثيرةً وألفها الإنسان، ربما تركها وأعرض عن المُنعم جل جلاله، قال: (فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ) العرم قيل هو المطر الشديد، وقيل العرم هو البناء الشديد، بمعنى أنه كان هناك جبلان كما تقول الروايات، وكان ينزل المطر الشديد بينهما، فبنى سدٌ عظيم لا يزال له شواهد حتى اليوم، يُسمى سد مارب، حتى أنه يتخيل البعض أن هنالك عمالقة قد بنوه من كبر الحجارة، كما يتحدثون عن لغز الأهرامات حتى اليوم، فبنى بالحجارة الضخمة، وجعلت فيه فتحات ينزل منها الماء الذي تحتاجه المملكة، وتُخزن خلفها مياه الأمطار، فلما أعرضوا عن ربهم فُتحت عليهم هذه السدود فأغرقتهم المياه، فالمياه نفسها تكون نعمةً وتكون نقمة، الله تعالى ينعم كلها حياتية، يمكن أن تكون نعمةً ويمكن أن تكون نقمة، المال نعمة لعباد ونقمة على عباده، فإذا أدخلهم الجنة فهو نعمة، وإذا أدخلهم والعباد بالله نار جهنم وقد طغوا فيه وحبسوه عن الفقراء والمساكين ولم يؤدوا زكاته فهو نقمة، والولد كذلك والزوجة كذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="font-weight:bold">يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا</span> □ إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِدْوًا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ □ وَإِن تَعْفُوا  
وَتَصْفَحُوا وَتَعْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ (14)

(سورة التغابن)

قد يكون الولد عدوٌ لوالده حينما يسرق لئيفق عليه، أو يرتشي بدعوى أنه يريد أن يُعلمه، ويؤمن له مستقبله، فكل نعم الله تعالى يمكن أن تصبح نقمة، والماء كذلك كان نعمةً تُخزن ويشربون منه وتجري الأنهار، وتُثبت الأشجار، ثم أصبح فجأةً نقمةً عند إعراضهم عن مولاهم جل جلاله.

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَدَلَّاتَهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ) طبعاً هما لم تعودوا جنين، يعني الجنة تطلق على الشيء الحسن، لكن هذا من باب المُشاكلة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
<span style="color: #01154d;font-weight: bold">السَّهْرُ الْحَرَامُ بِالسَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرْمَاتِ قِصَاصٌ □ قَمِنَ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ

قَاعْتَدُوا عَلَيْهِ > يَمِيلُ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ □ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194)

(سورة البقرة)

وهل رُدُّ الاعتداء عدوان؟ لا، لكن من باب المُشاكلة، يعني رُدُّوا عدوانه بعدوان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ > وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ  
الْمَاكِرِينَ (30)

(سورة الأنفال)

الله تعالى لا يَمْكُرُ بالمعنى الحقيقي للكلمة، لكن رُدُّه على مكرهم سَمَاهُ مكرراً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا (16)

(سورة الطارق)

وهذا شيءٌ معروفٌ عند العرب، دخل رجلٌ بردان وشبهه عارٍ إلى قوم، فقالوا له نطهو لك طعاماً، فقال لهم: اطهوا لي جُبَّةً وقميصاً، فشاكل كلامهم فجعل صناعة النوب طهواً هذه مشاكلة، فالجنتين هنا مشاكلة وجاءت هنا على سبيل التهكم والشخرية بهم، لأنَّ ما حصل لم يعد جنتين.  
ما صفات الجنتين؟ قال: (ذَوَاتِي أَكُلُ حَمِيٍّ) أي ذات طعم مُرٍّ لا يستساغ ثمارها، (وَأَنْلِي) نوع من أنواع النباتات الشوكية في البادية التي ليس لها ثمر، (وَسَيِّءٌ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ) يعني السدر مقبول نوعاً ما، بُنِيَتْ بعض الثمار، لكن لا تظن أنه كثير قال: (وَسَيِّءٌ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ) يعني أصبح الرزق قليل جداً وليس كما كان من اليعقم الوافرة والطيبة، (وَسَيِّءٌ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ).

الشُّكْرُ يَزِيدُ النِّعْمَ وَالْكَفْرُ يَزِيلُهَا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
> ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرُوا > وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17)

(سورة سبأ)

هذه الباء باء السبب، (وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ) الكفور في مقابلة الشكور، (بِمَا كَفَرُوا) أي كفروا بنعم الله تعالى عليهم، فالشُّكْرُ يَزِيدُ النِّعْمَ، وَالْكَفْرُ يَزِيلُهَا، وهذا القانون هو قانوننا نحن المؤمنين، نسأل الله أن يُدِيمَهُ عَلَيْنَا، لأنه يُؤَدِّبُنَا اللهُ تَعَالَى بِهِ، وَالتَّأْدِيبُ خَيْرٌ مِنَ التَّرِكِ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{ إِذَا رَأَيْتَ اللّهَ يُعْطِي العَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعْاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ. ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { قَلَّمَآ تَسُوا مَا دُكُّوا

بِهِ فَتَحَّتْ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذَتْهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ { [الأنعام: 44]. }

(أخرجه أحمد والطبراني والبيهقي)





وقال بعضهم: **(فَقَالُوا رَبَّنَا تَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)** قال هذا الإنسان عندما يملّ النعمة والعياذ بالله، يعني ربنا عزّ وجل أنعم على الرّجل بالمرأة وأمره بالزواج، فيعد الزواج قال لك: أنا لا أستمتع والعياذ بالله إلا بالصديقة أو العشيقة نسال الله السلامة، وبعد الصديقة والعشيقة أصبح يبرد الشذوذ والعياذ بالله، فالإنسان عندما يستغرق في النعمة وينسى المُتعم، ويستهدف النعمة بذاتها، الآن يريد أن يُعَيَّر، ولو كان التغيير إلى الأسوأ، وهذا يشبه فعل نبي إسرائيل لما أنعم الله عليهم بالمنّ والسلوى فقالوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُصِيبَ عَلَى طَعَامٍ وَاجِدٍ <span style="font-weight:bold">فَادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثِيبُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا </span> قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ </span> اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ </span> وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَتَاءُوا يَعْصِبُ مَنْ اللَّهُ </span> ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ </span> ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61)

(سورة سبأ)

أنا أعطيك عسل فتقول لي أريد سكر وما!

وقرأت لجمال الدين الفاسمي من المفسرين، هذا من عندنا من الشام، قرأت له قولاً جميلاً جداً وأنا سمعته من قبل من شيخنا الشيخ الدكتور راتب النابلسي حفظه الله، قال: " هذا لسان الحال وليس لسان المقال " يعني هُم ما قالوا بلسانهم: **(رَبَّنَا تَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)**، لكن لما أنعم الله تعالى عليهم بهذه النعم، وكفروه ولم يُطيعوه، ولم يشكروه على هذه النعم، فكان لسان حالهم يقول: لا نريد هذه النعمة، أيضاً هذا معنى جميل، يعني لسان الحال أحياناً أبلغ من لسان المقال، يعني إذا أنت تُدرّس ابنك وتحضر له أساتذة ووجدته لا يدرس تقول له: يا بني أنت وكأنك تقول لي لا تتعب نفسك، يعني لا تريد أن تدرس، يقول لك: أنا لم أقل ذلك، تقول له: لم تتكلم ولكن الذي تفعله هو رسالة لي أنك لا تريد الدراسة.

### الفرق بين أن يكون الإنسان ذكري وبين أن يكون حديث:

**(فَقَالُوا رَبَّنَا تَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَطَلِّمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ)** آية مُرعية **(فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ)** بين أن يكون الإنسان ذكري وبين أن يصبح حديث، ربنا عزّ وجل عندما يتكلم عن الخير، ذكري، يتذكر الإنسان، والله تذكرت الوالد رحمه الله كان صالحاً، أمّا فلان ملاً الأرض طغياناً ثم قُتل، يصبح حديث، يتندّر به الناس حديث، قال: **(فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ)**.

هناك مثل عند العرب معروف، مثل عربي قديم إذا كان الناس مجتمعين ثم تفرقوا يقولوا: **"تفرقوا أيادي سبأ"** أي تفرقوا كما تفرقت سبأ في الطرقات، مثل شعبي فأصبحوا أحاديث على الألسنة.

**(فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ)** يعني ربما الابن في مكان والأب في مكان، بعد اجتماع وبعد قوة تشتت ديارهم وأنحاءهم وإلى ما هنالك.

### الصبر والشكر قرينان لا يفترقان:

**(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)** هذه الآيات، آية قوم سبأ تنفع كثيري الصبر، كثيري الشكر، الصبر والشكر قرينان لا يفترقان، لأنّ الحياة كلها إمّا في انزواء النعمة فيجب أن تصبر، أو في إتيانها فينبغي أن تشكر، كل الحياة، قبل الزواج صبر، بعد الزواج شكر، ذكرت ذلك أمام أخ كريم مضى على زواجه خمسون سنة، قال لي: أنا قبل الزواج صبر وبعد الزواج صبر، كنت أصبر على عدم الزوجة، وأصبحت أصبر على الزوجة، أنا كنت أحدث الشباب أقول لهم قبل الزواج صبر، يعني عصّ بصرك ثم يُمتعك الله بامرأة فتشكر الله عزّ وجل على هذه النعمة، وعند قلة المال تصبر على فقده، وعند مجيئه تشكر الله عليه، فالحياة بين صبر وشكر، والإيمان نصفان صبر وشكر، فذلك جمع الله تعالى بينهما فقال: **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)**، يعرف النعمة عند وجودها فيشكر الله عليها، ولا يألها فينساها، فإذا زالت لسبب من الأسباب صبر على فقدها، كثير الصبر كثير الشكر، تنفعه الآيات، هذا والله تعالى أعلم.

أسأل الله تعالى أن يُفَرِّجَ عن إخواننا في عرّة، أسأل الله تعالى أن يجمع شملهم، وأن ينصرهم على عدوهم، وأن يلمّ شتاتهم، وأسأله تعالى أن يعيدهم إلى ديارهم سالمين غانمين منصورين بفضلته ورحمته، والحمد لله رب العالمين.